# المسائل العقائدية في تفسير التدبر في القرآن للسيد محمد رضا الشيرازي (ت١٤٢٩هـ –٢٠٠٨م) الجزء الأول والثاني

**م.م. زينب علي محمد**
**جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد / قسم علوم القران والتربية الاسلامية**
**zainalim.allami047@gmail.com**

**الخلاصة**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

أمّابعد:

جاء الحث الشديد والترغيب على التدبر والتفكر في آيات الله العزيز من قوله تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ٢٩﴾)) ص/ ٢٩.

وانطلاقاً من هذه الآية الكريمة فقد جاء تفسير(( التدبر في القرآن)) لمؤلفه السيد محمد رضا الشيرازي المولود سنة ١٣٧٩هـ الموافق لسنة ١٩٥٩م في مدينة كربلاء المقدسة، وهو النجل الاكبر للمرجع الديني الراحل الامام محمد الحسيني الشيرازي – رحمه الله – يرجع نسبه الى الامام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب– عليهم السلام.

١- اهتم بالمسائل العقائدية الثلاث المتفق عليها بين المذاهب وهي التوحيد والنبوة والمعاد.

٢- رد على الفرق الاسلامية من خلال جمع اقوالهم ومحاججتهم بها وبيان الاشكال الذي وقعوا فيه. اما موقفه من الاديان الاخرى فهو يصفهم بالضلال والكفر كرده على اليهود والنصارى والصابئة كاشفاً للانحرافات والاباطيل التي اتسمت بها حياتهم الفكرية.

٣- تجنب ذكر الاسرائيليات فتفسيره يخلو منها وهي ميزة من مميزات تفسيره.

٤- اهتم بالجانب الفلسفي انسجاماً مع ما يهدف اليه من تفسيره وهو التدبر في القرآن فاستطاع من توظيف هذا العلم في مصلحة تفسيره من خلال الكشف عن الجوانب القرآنية التي يستدل بها على قواعد التفكير الصحيح ومنها الرجوع الى الفطرة والتفكر في خلق الكون فرد على الفلاسفة ودحض بعض القواعد الفلسفية.

**Curriculum Shirazi interpreted to reflect on the Koran is partial first and Second)**
**Shirazi, Mohammad REZA Shirazi,**

**Zainab Ali Muhammed**

**Abstract**

Born in 1379AH corresponding to the year 1959 AD in city of Karbala, the eldest son of the veligious reference to Mr.Mohammed al- Husseini al-Shirzi.

Because he attributed to Imam Ali bin Al Hussein bin Ali bin Abi Talib, Al- Shirazi the title Family name as Belonging to Shiraz.

Known as the grand father Supreme Mahmoud ibn Ismail al-Husseini al-Shirazi Was aresident of Shiraz, the word means farisi cave lion Raised in the Shadow of his father and his uncle Mr.Sadeq AL-Husseini Shirazi.

1. Concerned with ideological matters agreed between the three schools, a singularity and the prophet hood and the revival of dead.

2. Reply to the difference through the collection of Islamic words and protest and statement forms which they signed it the position of other faiths is described by error and infidelity piece in the Jews and the Christians and the Sabians to date-et deviations that characterized the intellectual life.
3. Avoid mentioning Israel's, stories, including the principle is empty, an advantage of the advantages explained.
4. Care in line with the philosophical side, as contemplated in the interpretation of Koran revealed to reflect on aspects of the Koran that inferred by the rules of correct thinking including the return of human nature and reflect on the creation of the universe on individual philosophers and philosophical refutation of same of the rules.

**المقدمة**

تفسير التدبر في القرآن هو الكتاب الوحيد في التفسير للسيد محمد رضا الشيرازي(١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)

(رحمه الله ) الذي وافته المنيه قبل ان يتم تفسيره وهو على جزأين، يتضمن تفسير سورة الفاتحة وسورة البقرة ، وقد ادرج في مقدمة تفسيره كتاب كيف نفهم القرآن .

إن عنوان تفسيره (( التدبر في القرآن )) يدل دلالة جلية على المنهج العام الذّي يسلكه في تفسيره وهو المنهج العقلي الذي يعتمد على التدبر والتفكر والتأمل ، فهو يدعو الناس الى التدبر في آيات الله تعالى مستشهدا بقوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾محمد/٢٤.

اخترت من خزائن تفسيره المسائل العقائدية موضوعا للبحث قسمتها الى خمس مباحث.

الاول عن سيرته الشخصية و حياته وشيوخه وتلاميذه ، والثاني عن الجانب العقائدي في تفسيره تناول اصول الدين الثلاث التوحيد والنبوة والمعاد مع ذكر الادلة ، والثالث عن تفسيره في ضوء العلم الحديث مع ذكر آرائه من حيث المطابقة والاختلاف ، والمبحث الرابع حول موقفه من الفرق والاديان والرد عليهم ، أما المبحث الخامس كان عن اهتمامه بالقصص والروايات التأريخية التي تدعم وجهة نظره وآرائه التفسيرية لكتاب الله العزيز .

اسأل الله تعالى ان تنفع بضع الكلمات التي كتبتها القاريء والباحث والمطلع ، وأن يجعل كل عملي خالصا لوجه الله تعالى وأجراً جارياً للمفسر رحمه الله ، سائلين الله تعالى لي ولكم التوفيق والسداد.

**المبحث الاول**

**سيرته الشخصية والعلمية :**

**اولا:**

**اسمه:** محمد رضا بن السيد محمد بن السيد مهدي بن حبيب بن آغابزُرك بن السيد محمد بن اسماعيل بن السيد فتح الله الحسيني الشيرازي احد اعلام القرن الثالث عشر الهجري وينتهي نسبه الى زيد الشهيد بن الامام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام).

**ثانيا:**

**نسبه ولقبه:** يرجع نسبه الى آل الحسيني نسبة الى الامام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) وهم فرع من فروع ولده الامام زين العابدين علي بن الحسين عليهم السلام والملقب ب(السجاد) أما لقبه الشيرازي فيرجع الى ان جده الاعلى والد المجدد محمد حسن الشيرازي كان مقيما في شيراز [١] .

**ثالثا:**

[١] ينظر عشائر كربلاء وأُسرها : سلمان هادي ال طعمة/ دار المحجة البيضاء /ط١/١٩٨٨م /ص ٣٠.

**مولده ونشأته:** ولد في كربلاء المقدسة سنة (١٣٧٩هـ – ١٩٥٩م) وهو الأبن الاكبر للمرجع الديني الأمام محمد الحسيني الشيرازي ، تربى تحت رعاية والده وعمه المرجع الكبير أية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي[١] فكان له الاثر الكبير في تكوين شخصيته الأخلاقية والعلمية فكان يصلي بالطلبة صلاة الجماعة في مدرسة حفاظ القرآن الكريم التي تلقى فيها دراسته الأولية ، هاجر الى الكويت مع والده وأسرته سنة ١٩٧٠م التي عاش فيها تسع سنين ثم انتقل الى مدينة قم العلمية حيث بدأ والده بالتدريس فيها وهو بدأ بالشروع في الدراسات العليا ، وعاد بعدها الى الكويت عام ١٩٩٢م ليعطي دروسا في البحث الخارج وإلقاء المحاضرات حتى عاد الى قم مجددا لينصرف الى التدريس ومتابعة شؤونه العلمية حتى توفاه الله سن ( ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م).

**رابعا: شيوخه :** بالأضافة الى تتلمذه على يد والده الامام محمد الشيرازي فانه نال اجازات الاجتهاد حول كتابه الترتب ومنهم آية الله العظمى وحيد الخراساني وجعفر السبحاني والسيد محمد تقي المدرسي والسيد جواد التبريزي والسيد مرتضى القزويني.

**خامسا:**

**تلاميذه :** تخرج على يديه العديد من الخطباء والبلغاء والمحققين والمفكرين ومنهم العلامة السيد حسن القزويني وآية الله الشيخ عبد الكريم الحائري والعلامة الشيخ طالب الصالحي والشيخ علي الفدائي والعلامة جواد الإبراهيمي والخطيب جعفر الهاشمي وآية الله الشيخ حسين الفدائي والعلامة الشيخ ناصر الأسدي وآية الله الشيخ فاضل الصفار.

**سادسا:**

**اخذه الإجازة العلمية :** نال السيد محمد رضا الشيرازي درجة الاجتهاد في مقتبل العمر عن كتابه في أصول الفقه ( الترتب) أجازه آية الله العظمى محمد الابهري وآية الله العظمى مرتضى الاردكاني وآية الله العظمى يد الله الدوزدوزاني وآية الله العظمى أحمد الحسيني الشهرستاني ، وكان ذلك سنة ١٤١١هـ، وقبلها أجازه والده الامام محمد الشيرازي وعمه آية الله العظمى صادق الشيرازي وأجازه د. جعفر السبحاني سنة ١٤١٠هـ ، والجدير بالذكر ان طالب الحوزة العلمية يبدأ دراسته بمرحلة (المقدمات ) ويلقب بثقة الاسلام وثم مرحلة (السطوح ) ثم (السطوح العالية) ويلقب فيها الطالب (حجة الاسلام والمسلمين) ثم مرحلة (البحث الخارج) اي خارج الفقه الاستدلالي ، وعند نجاحه يصبح مجتهدا وعندما تصبح لديه رسالة عملية تعبر عن آرائه الفقهية ولديه اتباع يرجعون إليه في التقليد يلقب بـــــ (آية الله العظمى).[١]

## المبحث الثاني

## (الجانب العقائدي في تفسيره)

من المعروف ان اصول الدين لدى الشيعة الامامية هي خمسة:

( التوحيد والعدل والنبوة والامامة والمعاد)[٢]

منها ما اتفقت به مع المذاهب الاخرى كالتوحيد والنبوة والمعاد ومنها ما اختلفت به مع بعضهم مثل العدل والامامة (وتعتبر الشيعة الامامية العدل من اصول الدين وليس هو في الحقيقة اصلاً مستقلاً بل هو مندرج في نعوت الحق ووجوب وجوده المستلزم بجامعيته لصفات الجمال والكمال فهو شأن من شؤون التوحيد فقد اثبتوا لله صفة العدل مع المعتزلة افردوها بالذكر دون سائر الصفات اشارة الى خلاف الاشاعرة)[٣].

---

[١] عالم ومحقق وفقيه ولد في كربلاء سنة ١٣٦٠ه من مؤلفاته (شرح التبصرة ) و(العقوبات في الاسلام) من شيوخه العلامة يوسف البيار وآية الله محمد الشاهرودي واخيه محمد الشيرازي. انظر أسرة المجدد الشيرازي/٢٧٧

(٢) المسائل الاسلامية المنتخبة : صادق الحسيني الشيرازي / ٧-٣١ دار العلقمي للطباعة والنشر، ط٣١، كربلاء، العراق، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

(٣) عقائد الامامية: محمد رضا المظفر/ تحقيق وتعليق محمد جواد الطريحي، مركز الابحاث العقائدية/ ص ٤٠.

اما الامامة فالشيعة يقولون بوجوب النص من الله سبحانه وتعالى على لسان النبي للامام والامامة عندهم ليست بالاختيار والانتخاب[١] وهي لا تثبت لصاحبها الا بالنص عليه والتوفيق، والجمهور اجازوا الامامة في من لا نص عليه ولا توفيق وتكون بانعقاد رأي الامة على اختيار من يكون لها اماماً في شؤون دينها ودنياها.[٢]

والشيرازي – رحمه الله – يتعرض في تفسيره للآيات القرآنية الى المسائل العقائدية المتفق عليها بين المذاهب الاسلامية كالتوحيد والنبوة والمعاد، ويتعرض الى مسائل فرعية مختلف فيها بين المذاهب كالشفاعة والاستعانة والتوسل فيناقش هذه المسائل باستفاضة واضحة مدافعاً فيها عن مذهبه ومنتصراً له مجلياً نقاط الخلاف ومبرزاً جوانب الاشكال فيخرج بنتيجة تدعم رايه ومعتقده، اما المسائل العقائدية الرئيسية المختلف فيها كالعدل والامامة فلم يتطرق اليها في مناقشاته العقائدية في هذين الجزئين[٣].

وركز على الاصول الثلاثة المتفق عليها بين المذاهب الايمان بالله والنبوة والمعاد فيرى انها عماد الدين والقاعدة الاساسية لكل ما سواها وذلك في تفسيره لقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ٣﴾البقرة/٣ فيقول : ( يدعو القرآن الكريم الناس الى انتخاب النموذج الاول– اي خط المتقين – الذي يعتمد اولاً وقبل كل شيء على ركائز الايمان الثلاث: (الايمان بالالوهية ) و(بالرسالة ) و( المعاد) والتي تمثل القاعدة الاساسية لكل ماعداها ...من احكام وآداب وسنن ونحوها .... فكل ما في هذه السورة من احكام ونظم وتشريعات .... بل كل ما في القرآن الكريم ... بل كل ما في الدين يستند على هذه الركائز الثلاث)

وهذا ما أجمعت عليه الامة على اختلاف مذاهبهم والتي لا يكون ايمان بدون هذه الاصول الثلاثة والتي هي : الاعتقاد بوجود الله وبجميع صفاته والاعتقاد بنبوة محمد ( صلى الله عليه واله وسلم) وانه صادق فيما بلغه عن ربه اجمالاً والاعتقاد بالبعث والحساب وبالثواب والعقاب[٤] ورأيه هذا واضحاً في الجوانب العقائدية التي اختارها للبحث في تفسيره حيث ركز على هذه الاسس الثلاث وهي:

**١ – التوحيد:**

اجمع المسلمون على الايمان بالله وحده، قال ابن تيمية عنه سبحانه وتعالى: (خالق واجب الوجود لذاته واحد، علم ، قادر، حي، مريد، متكلم، سميع، بصير، الدليل على وجوده الممكنات لاستحالة وجودها بنفسها).[٥]

والامامية يعتقدون بهذا الاصل وقد آمنوا بأن الله تعالى ( واحد احد ليس كمثله شيء قديم لم يزل ولا يزال هو الاول والاخر عليم، حكيم ، عادل، حي، قادر، غني، سميع، بصير، لا يوصف بما توصف به المخلوقات وقالوا بأنه يجب توحيد الله من جميع الجهات فكما يجب يوحيده في الذات (اولاً) يجب توحيده في الصفات ( ثانياً) وكذلك يجب توحيده في العبادة ( ثالثاً) فلا تجوز عبادة غيره بوجه من الوجوه)[٦] .

فتعرض المفسر لمسالة التوحيد في تفسيره لقوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ٥﴾ الفاتحة /٥ قائلاً : ( بعد ان توجه المؤمن في الآيات السابقة بعقله، وقلبه الى الله سبحانه وتعالى، واستحضر في ذهنه حقيقتين :

**الحقيقة الاولى:** الربوبية الالهية الشاملة، التي لا تختص بهذه الدنيا بل تشمل الاخرة ايضاً.

**الحقيقة الثانية :** الرحمة الالهية الواسعة والدائمة ... وبعد ذلك كله يتوجه المؤمن الى الناحية العملية في حياته فيحصر عبادته بالله سبحانه ، دون ان يعبد سواه، ويخص استعانته بالله تعالى فلا يستعين بغيره، قائلاً ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ٥﴾ ذلك ان ((

---

(١) عقائد الامامية محمد رضا المظفر / مطبوعات النجاح/ ط٢، القاهرة، ١٣٨١هـ-١٩٦١م/ص ٦٦.

(٢) اوائل المقالات: الشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣هـ)/ دار المفيد للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م/ص٤٠.
مذاهب الاسلاميين: عبد الرحمن بدوي / دار العلم للملايين ، ط٣، بيروت، ١٩٨٣م/١/٣٢٦.

(١) ينظر اصول الدين الاسلامي: د. رشدي محمد عليان ود. قحطان عبد الرحمن الدوري/ ٦٦، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، مطبعة دار الحكمة، ط٤، بغداد، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(٥) شرح العقيدة الاصفهانية : ابو العباس احمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني ( ٦٦١- ٧٢٨هـ) ١/ ١٧- ١٨. تحقيق ابراهيم سعيداي، نشر مكتبة الرشيد، ط١، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٦) عقائد الامامية الاثني عشرية، ابراهيم الموسوي الزنجاني/ ٢٥- ٢٦، مؤسسة الاعلمي ، ط٢ بيروت – لبنان، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

التوحيد العملي)) متمثلاً في حصر العبادة والاستعانة بالله سبحانه – يأتي بعد الايمان بـ (( الربوبية الآلهية )) و(( العطاء الالهي))[١] .

كما تطرق المفسر – رحمة الله– الى صفات الله تعالى، فكما اهل السنة والجماعة يعتقدون بأن ( الحياة والقدرة والارادة والمشيئة والفوق والمعية والفرد الى غير ذلك مما نطق به الكتاب والسنة ، فكل هذه الصفات تساق مساقاً واحداً ويجب الايمان بها على انها صفات حقيقية لا تشبه صفات المخلوقين ولا يمثل ولا يعطل ولا يرد ولا يجحد ولا يأول بتأويل يخالف ظاهره )[٢] كذلك يعتقد بها الامامية ويتفقون معهم في صفات الله تعالى(( الثبوتية الحقيقية الكمالية التي تسمى بصفات الجمال والكمال كالعلم والقدرة والغنى والارادة والحياة هي كلها عين ذاته وليست هي صفات زائدة عليها وليس وجودها الا وجود الذات)) [٣].

( واما الصفات الثبوتية الاضافية كالخالقية والرازقية والتقدم والعلية فهي ترجع في حقيقتها الى صفة واحدة حقيقية وهي القيومية لمخلوقاته وهي صفة واحدة تنتزع منها عدة صفات باعتبار الاثار والملاحظات).[٤]

فالمفسر في تفسيره لقوله تعالى : ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ الفاتحة /١ يقول : ( الرحمة من صفات الفعل وصفات الفعل هي تلك الصفات التي تنتزع من مقام الفعل ولذا يصح اثباتها للذات تارة وسلبها عن الذات تارة أخرى كالخالقية والرازقية ونحوهما، حيث نستطيع ان نقول مثلاً كان الله ولم يكن معه شيئ ثم ( خلق) الاشياء، اما صفات الذات فهي تنتزع من مقام الذات ولا يصح سلبها من الذات مطلقاً كالعلم والقدرة ونحوهما)[٥].

وهو بهذا يكون قد اوضح المعنى انسجاماً مع رأي اهل السنة والجماعة والامامية بعيداً عن كل تجسيم او تشبيه بصفات المخلوقين.

فالاعتقاد ( بوجود الله وبجميع صفاته الثبوتية الراجعة الى تنزهه عن جميع صفات النقص) [٦]هي من اصول الدين بل هي الاصل الاول الذي اجمع عليه المسلمون على اختلاف فرقهم ومذاهبهم.

٢– **النبوة** : وهي الاصل الثالث من اصول الدين بعد التوحيد والعدل لدى الشيعة الامامية ويعتقدون بان النبوة ( وظيفة إلهية وسفارة ربانية يجعلها الله تعالى لمن ينتخبه من عباده الصالحين).[٧]

واتفق جمهور المسلمين والامامية على ان الانبياء – عليهم السلام – معصومون من الكفر قبل الوحي وبعده، ولا يجوز الكفر عليهم في حال صغرهم تبعاً للوالدين لأنهم مؤمنون بالله، عارفون به حقيقةً فلا يجري عليهم حكم الكفر تبعاً ويستحيل صدور الكذب عن الانبياء على سبيل العمد كما اجمع اهل الملل والشرائع كلها ويستحيل صدوره على سبيل السهو والنسيان عند اكثر الائمة الاعلام والانبياء معصومون قبل البعثة وبعد البعثة فلا تصدر عنهم الذنوب اصلاً ولا عمداً ولا سهواً بالاتفاق[٨].

و**العصمة** هي : ( التنزه عن الذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها ومن الخطأ والنسيان وأن لم يمتنع عقلاً على النبي ان يصدر منه ذلك بل يجب ان يكون منزهاً حتى عن ما ينافي المروءة).[٩]

واختلف الامامية مع جمهور المسلمين في عصمة الأئمة الاثني عشر– عليهم السلام – فقال الامامية ( الانبياء معصومون قاطبة وكذلك الائمة)[١٠]ولا يرى الجمهور ذلك فهم ( يعتبرون قول الامام قول فقيه بحاجة الى اقامة الحجة عليه).[١١]

---

(١) التدبر في القرآن ١/ ٢٤٧-٢٤٨.
(٢) قطف الثمر في بيان عقيدة اهل الاثر: محمد صديق حست خال القنوجي ١/ ٦٨ تحقيق د. عاصم عبدالله القريوتي، دار النشر شركة الشرق الاوسط للطباعة، ماركة الشماية ، الاردن، ط١، ١٤٠٤هـ.
(٣) عقائد الامامية: المظفر/ ٣٩.
(٤) عقائد الامامية الاثني عشرية: الزنجاني /٢٧.
(٥) التدبر في القرآن : ١/ ١٨٩.
(٦) ينظر اصول الدين الاسلامي: د. رشدي محمد عليان ود. قحطان عبد الرحمن الدوري /٦٦.
(٧) عقائد الامامية : المظفر / ٤٨.
(٨) ينظر اصول الدين الاسلامي/ د. رشدي عليان ود. قحطان الدوري / ٢٤٤- ٢٤٨.
(٩) عقائد الامامية : المظفر/ ٥٤.
(١٠) عقائد الامامية: المظفر/ ٥٣.
(١١) مسائل من الفقه المقارن: د. هاشم جميل ١/ ٢١.

واستدل العلماء على عصمة الانبياء بادلة كثيرة :

١- لوصدر منهم الذنب لحرم اتباعهم فيما يصدر عنهم مع ان اتباعهم فرض بالاجماع.

٢- ان صدر عنهم الذنب وجب زجرهم وتعنيفهم، لعموم وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا شك ان زجرهم ايذاء لهم وايذائهم حرام اجماعاً.

٣- لو اذنبوا لردت شهادتهم اذ لا شهادة لفاسق بالاجماع.

٤- لو اذنبوا لاستحقوا العذاب واللوم والطعن لقوله تعالى : ((﴿۞أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ٤٤﴾ البقرة / ٤٤ فيدخلون تحت قوله تعالى في هذه الآية وهذا منتفٍ بالاجماع لكونه من اعظم المنفرات.

٥- لو جاز عليهم ان يخونوا الله تعالى بفعل محرم او مكروه للزم ان يكون ذلك المحرم او المكروه طاعة لأن الله تعالى امرنا بطاعتهم واتباعهم في اقوالهم وافعالهم من غير تفصيل فكل ما صدر منهم فنحن مأمورون به وكل مامور به فهو طاعة لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء[١] وقالوا : ( انه لو جاز ان يفعل النبي المعصية او يخطا وينسى وصدر منه شيء من هذا القبيل فاما ان يجب اتباعه في فعله الصادر منه عصياناً او خطأً او لا يجب فأن وجب فقد جوزنا فعل المعاصي برخصة من الله تعالى بل اوجبنا ذلك وهذا باطل بضرورة الدين والعقل وان لم يجب اتباعه فذلك ينافي النبوة التي لا بد ان تقترن بوجوب الطاعة ابداً).[٢]

٦- وهذا ما أيده المفسر في تفسيره لقوله تعالى ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ٦﴾ الفاتحة / ٦. فيقول : ( ولا يخفى ان الانبياء والائمة – عليهم السلام – معصومون، ولا يمكن ان تسلب منهم نعمة الهداية .... فطلبهم من الله الهداية ربما يكون بمعنى طلب ثبات تلك الدرجة من الهداية التي وهبهم الله اياها).[٣]

مستشهداً بقول الامام الصادق .. عليه السلام- : ( ان الله جبل النبيين على نبوتهم فلا يرتدون ابداً، وجبل الاوصياء على وصاياهم فلا يرتدون ابداً، وجبل بعض المؤمنين على الايمان فلا يرتدون ابداً ومنهم من يعير الايمان عارية فإذا هو دعا وألح في الدعاء مات على الايمان )[٤].

نستنتج من خلال قوله واستشهاده بقول الامام الصادق – عليه السلام – انه يؤيد كون العصمة امر فطري خصّ الله به مجموعة من الناس وهم الانبياء والاوصياء وبعض المؤمنين ولا يعم جميع البشر، وهذا الاختصاص منه سبحانه وتعالى لهؤلاء ليكونوا دعاةً لدينه.

٣- **المعاد:** وهو الاصل الخامس من اصول الدين عند الشيعة الامامية الذين يعتقدون كما يعتقد عامة المسلمين بكافة فرقهم ومذاهبهم بآن الله تعالى يبعث الناس بعد الموت في خلق جديد في اليوم الموعود به عباده ، فيثيب المطيعين ويعذب العاصين... ولا يتم ايمان المسلم الا به فيقول الله تعالى : (( ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ٧٤﴾المؤمنون / ٧٤.

والبعث هو (( ان يبعث الله تعالى الموتى من القبور بان يجمع اجزاؤهم الاصلية، ويعيد الارواح اليها)) [٥]ويراد منها في المعنى كلمة النشور يقال ( نشر الميت) اذا عاش بعد الموت، وانشره الله : احياه)[٦].

أما ادلة البعث والنشور فهي :

١- من الكتاب العزيز قوله تعالى ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ٣٨﴾ النحل /٣٨ وقوله تعالى ﴿أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا٥١﴾ الاسراء /٥١ وقوله تعالى (( ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ

---

(١) ينظر اصول الدين الاسلامي/ ٢٤٩- ٢٥٠ .
(٢) عقائد الامامية / ٥٤.
(٣) التدبر في القرآن ١/ ٢٧٨.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٧٧ وبحار الانوار : المجلسي ٦٦/ ٢٢٠-٢٢١.
(٥) اصول الدين الاسلامي : رشدي عليان وقحطان الدوري / ٤٤٠.
(٦) المصدر السابق ت/ ٤٤١ والصحاح: الجوهري ٢ / ٨٢٨.

خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ يس / ٧٨– ٧٩. فاحتج الله تعالى بالابداء على الاعادة وبالنشأة الاولى على النشأة الاخرى، اذ كل عاقل يعلم ضرورياً ان من قدر على هذه قدر على هذه، وانه لوكان عاجزاً عن الثانية لكان الاولى اعجز واعجز)[١] .

٢– من الحديث الشريف في البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – يخطب على المنبر يقول : (( انكم ملاقوا الله حفاة عراة غُرلاً))[٢]

وفي صحيح مسلم :

(( قام رسول الله– صلى الله عليه واله وسلم – خطيباً بموعظة فقال "" (( يآأيُّها الناس إنكم تحشرون الى الله حُفاةً عُراةً غُرلاً )) ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾الانبياء / ١٠٤ )) .[٣]

٣– وعليه اجماع سلف الامة )[٤].

فتعرض المفسر في تفسيره لمسألة المبدأ والمعاد ويرى بأن هذه القضية هي اهم قضية عقائدية في الوجود كله فيقول في تفسيره لقوله تعالى : ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ الفاتحة /٤ ( بعد ان تعرض القرآن الكريم في مفتتح هذه السورة الى مسألة " المبدأ " أشار في هذه الآية الى مسألة (المنتهى)... ومسألة ( المبدأ والمنتهى) اهم قضية عقائدية في الوجود كله، كما انها اهم قضية ( عملية ) في حياة الانسان . من أين جئنا ؟ والى اين نسير؟ وما هو المصير؟)[٥] .

وفي موضع اخر في تفسيره للآية نفسها يقول : (( محكمة القيامة : هذه المحكمة هي اهم المحاكم – اذ قد يطوع المجرم ضميره بطول الاجرام، او يفلت من محاكم الدنيا، او لا ينال جزاءه الكامل، او يقوم بتزور التاريخ اما في الأخرة فتوفى كل نفس ماكسبت﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾آل عمران/١٦١ ومن هنا يقول الله سبحانه ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ النجم / ٣٩–٤١.

ومن هنا اطلقت كلمة (( يوم الدين)) على يوم القيامة .. لأن الجزاء بشكله الكامل سوف يكون في ذلك اليوم )[٦].

ويرى ان الايمان باليوم الآخر له ارتباط عملي بسلوك الانسان وهو ارتباط ايجابي فيقول : إن لقضية المبدأ والمعاد ارتباطاً عميقاً بالسلوك الانساني، فمن لا يعتقد بالله ولا باليوم الأخر لن يجد رادعاً حاسماً يمنعه من ارتكاب الجرائم والتعدي على حقوق الأخرين وان هذه الحياة هي الفرصة الاخيرة فلماذا لا ينتهز هذه الفرصة في اشباع نزواته ولو جاء ذلك على حساب الآخرين .. اما من يعتقد بالله واليوم الاخر فان ايمانه هذا سوف يخلق وازعاً في نفسه يمنعه من ارتكاب الموبقات والتعدي على الاخرين [٧].

يتبين لنا مما سبق ان الايمان بالمعاد هو اصل ثابت من اصول الدين الاسلامي عند الامامية وعند اهل السنة والجماعة فيقولون : ( تقوم القيامة الكبرى فتعاد الارواح الى الاجساد وتقوم القيامة التي اخبر بها في كتابه على لسان رسوله واجمع عليه المسلمون فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين )[٨]

كذلك قال الامامية: ( المعاد هو اعادة الانسان في يوم البعث والنشور ببدنه بعد الخراب وارجاعه الى هيئته الاولى بعد ان اصبح رميماً ) [١]

---

(١) اصول الدين الاسلامي: رشدي عليان وقحطان الدوري /٤٤٤.

(٢) المصدر السابق/ ٤٤٦ وفتح الباري شرح صحيح البخاري : الامام الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني ١١/ ٣٣١- ٣٣٢ دار المعرفة –ط٢-بيروت .

والغرل : بضم الغين واسكان الراء جمع اغرل وهو الاقلق الغير مختن الصحاح في الجوهري ١٧٨٠/٥ ولسان العرب لابن منظور ١١/ ٤٩٠.

(٣) الجامع الصحيح : الامام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٨/ ٥٦ او ١٥٧، دار الفكر، بيروت .

(٤) اصول الدين الاسلامي /٤٤٧.

(٥) التدبر في القرآن ١/ ٢٣٢.

(٦) التدبر في القرآن ١/ ٢٣٦- ٢٣٧.

(٧) التدبر في القران ١/ ٢٣٢ – ٢٣٣.

(٨) قطف الثمر: القنوجي ١٢٢/١- ١٢٣.

والمفسر قد بيّن اهمية وجود يوم القيامة لمحاسبة الناس وما يترتب على الايمان بهذا اليوم من توجيه لسلوك الانسان نحو الاصلاح والابتعاد عن الافساد لما ينجم عنه من استحقاق للعذاب في يوم القيامة وان افلت من الجزاء في دار الدنيا.

**المبحث الثالث**

**( تفسيره في ضوء العلم الحديث)**

عندما ازدهرت الحضارة العربية الاسلامية في العصر العباسي وبرزت العديد من العلوم التجريبية حاول بعض العلماء ان يوائم بينها وبين ما جاء في القرآن الكريم أو ان يوحد بينهما بعض العلاقة وعلى راسهم ابو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) ممن سلك هذا المسلك وحاول ان ( يروجه بين الاوساط العلمية فيرى ان القرآن يحوي على العديد من العلوم)[٢].

كما انه تحدث عن الكيفية التي انشعبت بها سائر العلوم من القرآن فيذكر ان ( الطب والنجوم والفلك والتشريح والعلوم التي عددها او لم يعددها هي مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى الذي لا ساحل له )[٣]

الى ان جاء عصر خمود وانحطاط على العالم الاسلامي بعد سقوط الدولة العباسية وما بعدها [٤]الى بداية القرن التاسع عشر حيث وجد بعض العلماء المسلمين العلوم الحديثة امامهم بعد انفتاحهم على اوربا [٥] وايماناً منهم بصدق ما جاء في القرآن اجتهد هؤلاء في ربط القرآن بهذه العلوم الحديثة وممن كتب في هذا المجال الطبيب محمد بن احمد الاسكندراني في مؤلفه الموسوم ب( كشف الاسرار النورانية في القرآن فيما يتعلق بالاجرام السماوية والارضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية )[٦].

ومن ابرز المفسرين الذين ادخلوا الكشوفات العلمية في تفسير القرآن الكريم في العصر الحديث سيد قطب في تفسيره ( في ظلال القرآن) حيث يرى انه يحق لنا الانتفاع بالكشوفات العلمية في هذا المجال ولكن بشرط ان لا يخرج هذا الانتفاع عن توسيع مدلول الآيات القرآنية وتعميقها دون تعليقها بنظرية خاصة او بحقيقة علمية خاصة تعليق تطابق وتصديق)[٧].

وهو يحذر من مخالفة هذه العلوم للقيم الايمانية فيقول : ( وقد تأخذنا في بعض الاحيان مظاهر خادعة لافتراق السنن الكونية حين نرى ان اتباع القوانين الطبيعية يؤدي الى النجاح مع مخالفة القيم الايمانية هذا الافتراق قد لا تظهر نتائجه في اول الطريق ولكنها تظهر حتماً في نهايته)[٨].

فالمفسر ( رحمه الله) نجده في كثير من المواضع يحذو حذوهم بتضمين تفسيره نماذج من العلوم الحديثة المخلفة فيستشهد بها على ما توصل اليه من تفسير تارة او لايضاح المعنى او مؤيداً لتلك العلوم او مفسراً للآيات القرآنية على ضوءها تارة اخرى وهذه امثلة على ما ضمنه من تفسيره لتلك العلوم.

فيقول في تفسيره لقوله تعالى (( ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾ البقرة / ٧.

( نلاحظ في الاية الكريمة وحدة (( السمع)) وجمع (( الابصار)) فما هو السبب في ذلك ؟ والجواب على ذلك من وجوه :- فيذكر المفسر ثلاثة وجوه والذي يهمنا الوجه الثالث فيقول( ان الادراكات القلبية والمشاهدات العينية تزيد بكثير على المسموعات، والفيزياء الحديثة تقول : ان الامواج الصوتية المسموعة معدودة لا تتجاوز عشرات الالاف، بينما امواج النور والالوان المرئية تزيد على الملايين [٩] وهذا الوجه ( الثالث) يمكن ان يكون جواباً للسؤال عن تقديم (( السمع )) على (( الابصار)) في اكثر من (١٧)

---

(١) عقائد الامامية : المظفر / ١٢٦- ١٢٧.
(٢) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ٢/ ٤٧٤ ط دار احياء التراث العربي ، بيروت .
(٣) احياء علوم الدين: ابو حامد الغزالي ١/ ٢٨٩ ط دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.
(٤) ينظر الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة : على المحافظة / ٢٣، الاهلية للنشر، ط٣، بيروت ، ١٩٨٠م.
(٥) ينظر زعماء الاصلاح في العصر الحديث: احمد امين / دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٩م/ص١١٤.
(٦)المصدر السابق. ص ١١٤.
(٧) في ظلال القرآن: سيد قطب ١٨١- ١٨٤ ط٩، دار الشروق ١٤٠٠٥ هـ - ١٩٨٠م.
(٨) في ظلال القرآن: سيد قطب، مجلدا (الاجزاء ١-٤)/ ١٧ ط١٠ ، دار الشروق ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
(٩) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ١/ ٩٢، ط جديدة، قم الحوزة العلمية، ١٤٠٤ هـ.

موضعاً من القرآن الكريم منها هذه الاية الكريمة ... هذا مضافاً الى ما ذكره علماء الفسيولوجيا والتشريح من ان جهاز السمع ارقى واعقد وأدق وأرهف من جهاز الابصار. ويمتاز عليه بإدراك المجردات ... وأدراك التداخل))[١].

وكذلك في تفسيره لقوله تعالى : ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ١٩﴾البقرة/١٩

فيفسر الحرارة ( الصاعقة) والصوت والضوء بحسب العلم الحديث فيقول: ( اما الحراة ، فهي شرارة كهربائية تتولد من اتحاد الكهربائيين وتخترق الجو بسرعة هائلة فتنزل الى الارض، فتحرق الاشجار وتحرق السفن وتهدم السقوف وتذيب الحديد وتقتل من تصيبه من الناس وهي ما يسمونه ( الصاعقة) ... واما الصوت، ينشأ من اتحاد تلك الكهربائيين فجأة في الجو وسريان صوت الشرارة في الهواء، ويكون شديداً او ضعيفاً او على حسب قربة من الارض وحجم السحابتين وهذا يسمى بـ ( الرعد) فالرعد هو صوت الشرارة الكهربائية التي تخترق طبقات الجو. واما الضوء، فهو وميض ينشا من سريان الشرارة الكهربائية في الجو بسرعة،وهو مايسمى بـ ( البرق ) [٢]

وكذلك في تفسيره لقوله تعالى ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ٢٢﴾ البقرة /٢٢.

فيقول في تفسيره لقوله تعالى :﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا ....(فالارض جعلت مستقراً لنا ... وهذه نعمة عظيمة من نعم الله علينا... ان الارض تسير بسرعة (٣٠) كيلو متراً ونصف الكيلومتر في الثانية الواحدة في هذا القضاء العظيم...وهذه السرعة كفيلة بان تقذف البشر وكل ما على الارض بعيداً في الفضاء خلال مدة بسيطة ... ولكن الله سبحانه امتن على البشر فجعل في الارض قوة (( الجاذبية )) التي تحتفظ الانسان وسائر ما على الارض من الانفلات في الفضاء، وتضمن له بقاءه على سطح الارض) [٣].

كما انه يبرز احتمال لفظ البناء لفظاً حقيقياًفي قوله تعالى: ((والسماءُ بناءاً)) فيقول: ( ويحتمل ان يقال : ان اطلاق لفظ البناء على السماء اطلاق حقيقي اذ لا يشترط في البناء ان يكون من جنس كثيف ك (( الحديد)) و(( اللبن)) و(( الاجر)) و(( الاسمنت)) بل كل شيء وقال فهو بناء فإن الالفاظ موضوعة للمعاني العامة، وللمعاني الخاصة، ومن هنا فاننا اذا فرضنا ان العلم تطور في المستقبل فصنع بيوتاً للناس من مادة لطيفة توفرت فيها كل الخصائص البناء من الستر والوقاية ...لصدق عليها (( البناء)) قطعاً ) [٤] .

وهو بهذا يعطي رؤية مستقبلية لواقع العلم فيما لو صدقت فرضيته ويفسر قوله تعالى (( والسماء بناءاً)) تفسيراً علمياً اخر فيقول:

( لعله يمكن أن يقال : ان في قوله تعالى : (( والسماء بناءاً) إشارة الى الغلاف الهوائي الذي يحيط بالارض.

والغلاف الهوائي هو المادة او الغلالة الشفافة التي تحيط بالارض وتفصل سطحها عن الفراغ الكوني)[٥].

وهو بذلك يثبت ان القرآن الكريم هو كتاب يصلح لكل عصر وزمان ومكان لما يحتويه من الكنوز العلمية، وان العلوم كلها تخضع للقرآن ولا يخضع القرآن لها لأنه معجزة الله سبحانه للخلق، وقد اجاد المفسر في اختياره للموضوعات التي تتناسب مع موضوع تفسيره وهو التدبر في القرآن وهو بذلك لا يخرج عن دائرة تفسيره التي وضعها لنفسه وهي من ايجابيات تفسيره.

---

(١) التدبر في القرآن ٢/ ٤٣٨.
والقران محاولة لفهم عصري: مصطفى محمود / ٢٤٧، ط٥ ، دار المعارف.
(٢) التدبر في القرآن ٥٦٨/٢ – ٥٦٩. و ينظر دائرة معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدي/٤، ط٣، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧١م.
(٣) التدبر في القرآن ٥٨٦/٢. ودائرة معارف القرن العشرين ١٨١/١.
(٤) التدبر في القرآن ٢/ ٥٨٧.
(٥) التدبر في القرآن ٥٩٨/٢ وانظر الغلاف الهوائي : د. محمد جمال الدين العنزي / ٥-٦.

**المبحث الرابع**

**( موقفه من الفرق والاديان)**

اعتمد المفسر – رحمه الله– الاسلوب العلمي الذي يعتمد على جمع الاقوال والاحاديث والآيات القرآنية مستشهداً فيها على صحة ما توصل إليه من دليل في محاججته للفرق والاديان الاخرى.

ولقد حرص المفسر على الدفاع عن عقيدته ومذهبه متى ما وجد موضوعاً يستفاد منه في ذلك معتمداً على الحوار الهاديء العلمي الرصين.

فهو يرد على المانعين في مسالة طلب الشفاعة [١]من الانبياء والاولياء وذلك في فسيره لقوله تعالى : (( ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ الفاتحة /٥ فيقول : (( لقد استدل الوهابيون بهذه الاية ونحوها على ان التوسل بغير الله سبحانه والاستعانة به شرك وكفر وضلال وانحراف).[٢]

مشيراً الى قول الشيخ محمد عبد الوهاب: ( اعرفت ان الله كفّر من قصد الاصنام؟ وكفّر من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ( صلى الله عليه واله وسلم).

فأن قال : الكفار يريدون منهم، وانا اشهد ان الله هو النافع الضار المدبر لاريد منه ، والصالحون ليس لهم من الامر شيء ولكن اقصدهم ارجو من الله شفاعتهم. فالجواب ان هذا قول الكفار سواء بسواء وأقرأ عليه قوله تعالى:– ((﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾الزمر ٣[٣].

فيرد على ذلك بقوله : (( ونقول في الجواب ان الشفاعة عبارة عن طلب الشفيع – كالنبي ( صلى الله عليه واله وسلم )– من المشفوع اليه – وهو الله تعالى – أمراً للمشفوع له – وهو المذنب مثلاً.

فشفاعة النبي – صلى الله عليه واله وسلم – عبارة عن طلبه من الله تعالى غفران ذنب المذنب وقضاء حاجة المحتاج ونحو ذلك فالشفاعة نوع من الدعاء)[٤].

واحتج بقوله تعالى" ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ۝١٠٩﴾ طه/ ١٠٩.

وبقوله ( صلى الله عليه واله وسلم) عن النضر بن انس بن مالك عن ابيه قال: (( سألت النبي ( صلى الله عليه واله وسلم)) ان يشفع لي يوم القيامة قال انا فاعل، قلت يارسول الله فأين اطلبك؟ قال اطلبني اول ما تطلبني على الصراط، قلت فأن لم ألقك على الصراط ، قال فاطلبني عند الميزان، قلت فأن لم ألقك عند الميزان؟ قال فاطلبني عند الحوض، فأني لا اخطيء هذه الثلاثة مواطن ))[٥].

وبقوله ( صلى الله عليه واله وسلم) عن عائشة – رضي الله عنها– عن النبي صلى الله عليه واله وسلم – قال ( ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه).[٦]

---

(١) الشفاعة لغة : من ( الشفع وهو الزوج وهو خلاف الوتر تقول كان وتراً فشفعته شفعاً والشفعة في الدار والارض والشفيع صاحب الشفعة وصاحب الشفاعة واستشفعته الى فلان اي سألته ان يشفع لي إليه وتشفعت اليه في فلان فشفعني فيه تشفيعاً وبنو شافع من بني عبد المطلب بن هاشم ومنهم الامام الشافعي) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: تاليف اسماعيل بن حماد الجوهري ٣/ ١٢٣٨ تحقيق احمد عبد الغفور عطار، ط٤ دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
واصطلاحا هي : ( الدعاء الى الله وطلب المغفرة منه سبحانه للمذنبين )) انظر بحوث في الملل والنحل : د. جعفر السبحاني ٤/ ٢٨١.

(٢) التدبر في القرآن ١/ ٢٦٢.

(٣) كشف الشبهات : محمد بن عبد الوهاب /٦ ط١، نشر وزارة الشؤون الاسلامية والدعوة والارشاد ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٨هـ.

(٤) التدبر في القرآن ٢٦٢/١.

(٥) المصدر السابق ١/ ٢٦٤-٢٦٥ والجامع الصحيح ( سنن الترمذي ): أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ٤/ ٤٢ تحقيق وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢ ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م. رقم الحديث (٢٥٥٠) وقال الترمذي ( هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه).

(٦) التدبر في القرآن ١/ ٢٦٤ والجامع الصحيح : الامام ابي الحسين مسلم بن الحجاج من مسلم القشيري النيسابوري ٥٣/٣ط مصححة ومنقحة، دار الفكر، بيروت، لبنان.

واحتج بقول ابن تيمية – في طلب الشفاعة منه– صلى الله عليه واله وسلم– حياً وميتاً:( وهو ان لا تطلب منه الفعل ولا تدعوه ولكن ان يدعوك لك كما تقول للحي ادع لي وكما كان الصحابة – رضوان الله عليهم – يطلبون من النبي – صلى الله عليه واله وسلم– الدعاء فهذا مشروع)[١].

واستدل بما ورد في الحديث من ان اعرابياً قال للنبي ( صلى الله عليه اله وسلم): ( جهدت الانفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله لنا فأنا نستفشع بالله عليك وبك على الله، وسبح رسول الله ( صلى الله عليه واله وسلم) حتى عرف ذلك في وجوه صحابه وقال : ويحك إن الله لا يستفشع به احد من خلقه، شأن الله اعظم من ذلك)[٢] قال ابن تيمية : فاقره على قوله (( إنا نستشفع بك على الله)) وانكر عليه (( نستشفع بالله عليك لأن الشافع يسأل عن المشفوع اليه والعبد يسأل ربه ويستشفع إليه، والرب تعالى لا يسأل العبد ولا يستشفع به)[٣].

ثم يعطي المفسر رايه قائلاً: ( فاقرار النبي ( صلى الله عليه واله وسلم) له على قوله : (( انا نستشفع بك على الله)) دليل جواز طلب الشفاعة من النبي ( صلى الله عليه واله وسلم) في دار الدنيا ولو كان طلب الشفاعة من غير الله شركاً لم يفرق فيه بين الحي والميت).[٤]

واستدل بقوله تعالى :﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴿١٦٩﴾﴾ قائلاً : ( ولا شك ان الانبياء افضل من الشهداء) [٥]

وايضاً بقوله ( صلى الله عليه واله وسلم ): (( الانبياء احياء في قبورهم)).[٦]

ويأتي رده هذا منسجماً مع ما ذهب اليه مذهبه الامامي في جواز الاستشفاع بالنبي حياً وميتاً ويوم القيامة مستدلين بقولهم الا يتصور ان يكون طلب الدعاء من المؤمن والصالح او الانبياء العظام شركاً سواء اكانوا أحياءاً او اموتاً. فقد صرّح القرآن الكريم بجوازه وأمر الظالمين بالمجيء الى النبي وطلب الاستغفار منه قال سبحانه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴿٦٤﴾﴾ النساء/٦٤.[٧]

وعنه ( صلى الله عليه واله وسلم ) : (( لأ شفعن يوم القيامة لمن كان في قلبه جناحَ بعوضةٍ إيمان)).[٨]

وفي تفسيره لقوله تعالى" ولا الضالين" الفاتحة /٧ يرى ان الخوارج [٩]من الضالين فيقول : ( الخوارج مصداق بارز للضلال وقد كان كثير من الخوارج من الذين انطبق عليهم قول الله سبحانه(( قل ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴿١٠٤﴾﴾ الكهف/١٠٣-١٠٤[١].

---

(١) التدبر في القران ٢٦٣/١ وراجع زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور: احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني / ٢٤ ط١، الناشر الادارة العامة للطبع والترجمة، الرياض، ١٤١٠هـ.

(٢) التدبر في القرآن ١/ ٢٦٥ . ٢٦٦ وسنن ابي داود : سليمان بن الاشعث السجستاني (٢٧٥هـ) ٢/ ٤١٨ – ٤١٩ رقم الحديث (٤٧٢٦) تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام، دار الفكر ، بيروت.والمعجم الكبير: الحافظ ابي القاسم سليمان احمد الطبراني ٢/ ١٢٨-١٢٩، ط٢، تحقيق احمدي عبد المجيد السلفي.

(٣) التدبر في القرآن ١/ ٢٦٥-٢٦٦ وزيارة القبور: ابن تيمية /١٥٥.

(٤) التدبر في القران ٢٦٦/١.

(٥) التدبر في القران ٢٧٢/١ .

(٦) التدبر في القران٢٧١/١- ٢٧٢ ومسند لبو يعلي: الامام الحافظ ابو يعلي الموصلي ٦/ ١٤٧ رقم الحديث (٣٤٢٥) ط٢، دار الثقافة العربية ، دمشق ، ١٤١٢، ١٩٩٢ م .ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد : الحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ) ٢١١/٨ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م. وزادا في الحديث ( يصلون).

(٧) بحوث في الملل والنحل: د. جعفر السبحاني ٤/ ٢٨٢.

(٨) كنز العمال في سنن الاقوال والافعال: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥هـ) ١٤/ ٣٩٠ رقم الحديث (٣٩٠٤٣) تحقيق تصحيح الشيخ بكري حياتي والشيخ صفعة السقا.
ومنتخب ميزان الحكمة: محمد الريشهري، تلخيص حميد الحسيني/ ٢٧٤ مكتبة العروة الوثقى، بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ.

(٩) الخوارج : (الذين خرجوا على الامام علي (عليه السلام) في معركة صفين بعد قبول التحكيم واشتهروا بتكفيره – عليه السلام- وتكفير كل من معاوية والحكمين عمرو بن العاص وابي موسى الاشعري وكل من رضي بالتحكيم ويكفرون اصحاب الجمل وعائشة وطلحة والزبير بالاضافة الى تكفيرهم لكل مسلم يرتكب كبيرة وحكمهم عليه بالخلود في النار) راجع : ازمة الخلافة والامامة واثارها المعاصرة : عرض ودراسة د. اسعد وحيد قاسم / ٢٧٧ مركز الغدير للدراسات الاسلامية – بيروت – لبنان .

ويرى ان ضلالتهم غير متعمدة وبذلك يرتفع عنهم العقاب في الدنيا فيقول: (( ولا يخفى ان " المؤاخذة القانونية" ترتفع عن (( الضال)) غير المقصر.... فهو لا يستحق العقاب لضلالة ... ولكن " الاثار الوضعية" للضلال سوف تترتب عليه قهراً ... فمن شرب الخمر سوف يصاب بالسكر، وان تتصور أنها ماء قراح . ومن ابتلع السم القاتل سوف يهلك، وان تصور أنه دواء ناجع.ومن سار في طريق الضلال سوف يبتلي بالاثار الوضعية للضلال ويحرم من بركات الهدى، وان كان معذوراً في انحرافه).[٢]

مستدلاً على رأيه هذا بقول الامام علي – عليه السلام- : (( لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه)) قال ابن ابي الحديد : (( مراده أن الخوارج ضلوا بشبهة دخلت عليهم ))[٣] وبقول الإمام الحسن عليه السلام لما قال له معاوية :اخرج اليهم وقاتلهم.

فقال : يأبى الله لي بذلك.قال: فلم أليس هم اعداؤك واعدائي؟ فقال : نعم : يامعاوية ولكن ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فوجده)[٤].

وقد تطرق في معرض حديثة عن اليهود والنصارى وهو يفسر الآيات القرآنية راداً عليهم ارائهم واقوالهم مستنكراً الانحرافات التي اتسمت بها حياتهم الفكرية والعقائدية ومنحاهم السلوكي الخاص فاحياناً يعتمد نصاً من كتبهم ويرد عليها محتجاً بالقرآن الكريم مفنداً مزاعمهم متهماً اياهم بالضلال والكفر.

ففي تفسيره لقوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴿٦﴾﴾الصف/ ٦ فيقول : (( في هذه الآية : نجد القرآن الكريم يضيف الى المسيح نسبه (( عيسى بن مريم)) عليهما السلام.

بينما في الآية السابقة يذكر القرآن اسم موسى (عليه السلام) بشكل مجرد فيقول: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴿٥﴾﴾ الصف/٥. وقد تكرر ذلك – في آيات القرآن كثيراً . وهكذا.

**والجواب :-**

لقد تركز الضغط القرآني على كلمة " ابن مريم" : تاكيداً على الجانب البشري في المسيح ( عليه السلام) ونفياً لما ادعته النصارى من وجود جانب الهي فيه... وهكذا ... يجمع القرآن الكريم بين استعراض الافكار والمفاهيم الالهية وبين النفي الضمني للخرافات، والاباطيل).[٥]

ومن تلك الخرافات والاساطير التي يفندها اسطورة برج بابل وذلك في معرض حديثه عن التصورات الخاطئة التي تناولت طبيعة العلاقة بين الرب والمربوبين وذلك في تفسيره لقوله تعالى:-

(( بسم الله الرحمن الرحيم)) الفاتحة /١ فيقول: (( والتركيز على صفة " الرحمة" في هذا الشعار القرآني إلفات الى ان الله سبحانه- رغم كون كل شيء بيده – ليس كسائر الملوك والحكام، بل هو منبع اللطف والرحمة، ومعدن الكرم والجود. وفي ذلك ايضاً ردّ على تلك التصورات البشرية الخاطئة التي تناولت طبيعة العلاقة بين الرب والمربوبين.

فالله سبحانه من منظار الاسلام: (( لا يطارد عباده مطاردة الخصوم والاعداء كآلهة الاولمب في نزواتها وثوراتها كما تصورها اساطير الاغريق ولا يدبر لهم المكائد الانتقامية كما تزعم الاساطير المزورة في " العهد القديم" كالذي جاء في اسطورة برج بابل في الصحاح الحادي عشر من سفر التكوين)[٦].

---

(١) التدبر/ ١/ ٢٨٧ .
(٢) التدبر في القرآن ١/ ٢٩١.
(٣) التدبر في القران ١/ ٢٨٨ وشرح نهج البلاغة : محمد عبدة ١/ ١٠٨" دار المعرفة ، بيروت. وشرح نهج البلاغة : ابن ابي الحديد ٨٧/٥.
(٤) التدبر في القرآن ١/ ٢٨٨ وسفينة البحار: عباس القمي ٣٨٤/١.
(٥) التدبر في القرآن ٧٣/١-٧٤.
(٦) التدبر في القرآن ١/ ١٩٢.

( وكانت الارض كلها لغة واحدة وكلاماً واحداً، وكان انهم لما رحلوا من المشرق وجدوا بقعة في ارض شغار فأقاموا هناك وقال بعضهم لبعض: تعالوا نضع لبناً وننضجه طبخاً، فكان لهم اللبن بدل الحجارة والخمر كان لهم بدل الطين، وقالوا تعالوا نبنِ لنا مدينة وبرجاً رأسه الى السماء ونقم لنا اسماً كي لا نتبدد على وجه الارض كلها. فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كانوا بنو آدم يبنونها. وقال الرب: هوذا هم شعب واحد لجميعهم لغة واحدة وهذا ما اخذوا يفعلونه والان لا يكفون عما هموا به حتى يضعوه، هلم نهبط ونبلبل هناك لغتهم حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض فبددهم الرب هناك على وجه الارض كلها وكفوا عن بناء المدينة، ولذلك سميت " بابل" لأن الرب هناك بلبل لغة الارض كلها، ومن هناك شتتهم على كل وجهها).[١]

وكذلك يفند مزاعم اليهود والنصارى بالانتساب لابراهيم ( عليه السلام) محتجاً بالقرآن الكريم وذلك في تفسيره لقوله تعالى : (( ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ٤﴾ البقرة /٤ فيقول: ( الجذور التاريخية ضرورية لكل دين... لكي لا يكون كشجرة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار ومن هنا نجد : ان المبادئ الجديدة تحاول ان تلصق نفسها ببعض العظماء التاريخيين لكي تقول للناس: انها ليست طارئة على مسيرة المجتمع الانساني، بل هي موغلة في اعماق الارض والزمن... ومن هنا نجد ان اليهود كانوا يحاولون ان يلصقوا انفسهم بابراهيم الخليل (عليه السلام) والنصارى هم الاخرون كانوا يدعون بأن ابراهيم (عليه السلام) منهم )[٢].

فيقولون في كتبهم في التوارة في العهد القديم : ((١) وقال الرّبُ لأبرام: (( اذهْبَ مِنْ أرضِكَ ومِن عشيرتك ومن بيتِ ابيك الى الارض التي أريك(٢)، فأجعلك أمة عظيمةً، وأُباركك واعظم اسمكَ وتكونَ بركةً(٣)وابركُ مباركيكَ ولاعنكَ ألعنهُ.. وتبارك فيك جميعُ قبائلِ الأرضِ))[٣] وكذلك في العهد الجديد في الانجيل: (١) كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم(٢) ابراهيم ولد اسحق واسحق ولد يعقوب. ويعقوب ولد يهوذا واخوته... الى قولهم... (١٧) فجميع الاجيال من إبراهيم الى داود اربعة عشر جيلاً ومن داود الى سبي بابل اربعة عشر جيلاً ومن سبي بابل الى المسيح اربعة عشر جيلاً)) [٤]وبذلك فهم يعتبرون انفسهم امتداداً لابراهيم ( عليه السلام) ولذلك يرد المفسر مزاعمهم تلك بما جاء بالقرآن الكريم فيقول: ( وجاء القرآن الكريم لكي يفند كل هذه المزاعم ويكشف الحقيقة بقوله ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ٦٧﴾ ال عمران/ ٦٧ ويقول في آية اخرى ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ٧٨﴾الحج /٧٨.[٥]

وبهذا استطاع المفسر ان يبين موقفه من الفرق والاديان الاخرى من خلال جمع اقوالهم ومحاججتهم بها وبيان الاشكال الذي وقعوا فيه كرده على الفرق الاسلامية.

اما موقفه من الاديان الاخرى فهو يصفهم الضلال والكفر كرده على النصارى واليهود والصابئة كاشفاً للانحرافات والاباطيل التي اتسمت بها حياتهم الفكرية وتحريفهم لدياناتهم.

**المبحث الخامس:-**

**(( اهتمامه بالقصص والروايات التاريخية))**

اهتم المفسر – رحمه الله- بقصص الانبياء والروايات التاريخية التي من شأنها أن تسهم في توضيح المعنى المراد من الآيات الكريمة ولكي يستدل على صحة ما توصل اليه من تفسير فلم يترك باباً للفهم الا ولجه ولم يدع طريقاً لمعرفة النص القرآني الا وسلكه وذلك للوقوف على المعنى الادق والتوضيح الاوفى لمعاني الآيات الكريمات بما ينسجم مع منهج التدبر في القرآن.

---

(١) العهد القديم – سفر التكوين – الاصحاح الحادي عشر (١-١٠).
(٢) التدبر في القرآن ٢/ ٤٠٤.
(٣) العهد القديم – سفر التكوين – الاصحاح (١٢)- (١-٤).
(٤) العهد الجديد – الانجيل كما رواه متي – الاصحاح(١) – (١-١٧).
(٥) التدبر في القرآن ٢/٤٠٤-٤٠٥.

فاستعان بقصص الانبياء وما تحويه من حكم وفوائد وما فيها من اثبات للرسالة المحمدية وهي من دلائل نبوته – عليه السلام– وهو اسلوب القرآن الكريم فـ– ( القرآن الحكيم قد اتخذ من القصص الحقيقية والحكايات الواقعية اسلوباً من اساليب البلاغة التي تفوق بها دائماً في بيان الموعظة الحسنة وتوضيح السنن الحقة في الكون والحياة)[١]وهذا ما اكد عليه المفسر في منهجية التدبر في القرآن، فهو يرفض ان تتلقى القصة القرآنية كقصة تاريخية مضت واندثرت دون استيعاب العبرة الكامنة من ورائها او حصرها في اشخاص معينين او ذوات خاصة ( دون اعتبار هذه القصص رمزاً ونموذجاً حياً يتكرر في كل زمان ومكان)[٢].

فيقول: ( فالقرآن يؤكد أن ما ورد فيه من قصص هي للعبرة ويستدل بقوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴿٢﴾﴾ الحشر/٢ وقوله تعالى ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِى فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡىَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِى ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴿١٣﴾ ....)) ال عمران ١٣– وقوله تعالى : (( لقد كان في قصصهم (اي ارسل) عبرة لأولي الألباب )) يوسف/ ١١١– وقوله تعالى ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴿٢٦﴾﴾ النازعات/٢٥–٢٦.[٣]

وبعد ان يبين معنى الاعتبار لغوياً يعرج الى ما تعنيه هذه الايات من معنى العبرة فيقول:( وفي هذه الايات تعني " العبرة " العبور من القصة .. الى مغزاها ... وتجاوز سطور التاريخ ... لاستشفاف ما وراء هذه السطور)[٤].

( ومن الخطأ أن ندفن آيات القرآن في قبو الماضي السحيق بل يجب تطبيق القرآن تطبيقاً حياً على الواقع الذي نعيش .. وعلى الافراد الذين تتعامل معهم ضمن هذا الواقع .... من الحاكم، والتاجر، والقوى الاجتماعية ... وسائر فئات الشعب).[٥]

فهو في مواضع عديدة في تفسيره يستشهد بقصص الأنبياء للدلالة على ما توصل اليه من تفسير ولتوضيح مدلول بعض الكلمات كما في تفسيره لكلمة " رب العالمين" في قوله تعالى" ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴿٢﴾﴾ الفاتحة /٢ فيقول : وتعني رعاية الله الشاملة لكل ما في الكون – ثم يستشهد بقصة سليمان – عليه السلام– فيقول ( ان سليمان ( عليه السلام) كان جالساً على شاطيء بحر فبصر نملة تحمل حبة قمح تذهب بها نحو البحر، ففجعل سليمان (عليه السلام) ينظر اليها حتى بلغت الماء، فاذا بضفدعة قد أخرجت رأسها من الماء ففتحت فاها فدخلت النملة، وغاصت الضفدعة في البحر ساعة طويلة، وسليمان – عليه السلام– يتفكر في ذلك متعجباً. ثم ان الضفدعة خرجت من الماء وفتحت فمها فخرجت النملة ولم يكن معها الحبة، فدعاها سليمان عليه السلام –وسألها عن شأنها وأين كانت؟ فقالت النملة : يا نبي الله ان في قعر البحر الذي تراه صخرة مجوفة وفي جوفها دودة عمياء وقد خلقها الله تعالى هنالك فلا تقدر ان تخرج منها لطلب معاشها، وقد وكلني الله برزقها فأنا احمل رزقها، وسخر الله تعالى هذه الضفدعة لتحملني فلا يضرني الماء وأنا في فمها وتضع فمها على ثقب الصخرة وادخلها، ثم اذا أوصلت رزقها اليها وخرجت من ثقب الصخرة الى فمها اخرجتني من البحر، فقال سليمان (عليه السلام ) : وهل سمعت للنملة من تسبيحة؟ قالت الضفدعة : نعم، انها تقول : (( يا من لا ينساني في جوف هذه اللجة برزقك/ لا تنسى عبادك المؤمنين برحمتك))[٦].

وكذلك في تفسير نفس الآية يقول : (فالذي يعتقد ان الله سبحانه هو " رب العالمين" وانه لارب سواه سوف يتجه الى الله سبحانه في كل شيء– ويستشهد بقصة سيدنا ابراهيم – عليه السلام– لتوضيح هذا المعنى فيقول:– وقد روي عن ابي عبد الله الصادق (عليه السلام) انه قال: لما اجلس إبراهيم ( عليه السلام) في المنجنيق وارادوا ان يرموا به في النار أتاه جبريل ( عليه

---

(١) قصص وخواطر : عبد العظيم المهتدي البحراني/مطبعة امير ط٥/قم- ايران، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ص١٧.
(٢) التدبر في القرآن ١/ ١٥١.
(٣) المصدر نفسه١/ ١٥٢- ١٥٣.
(٤) التدبر في القرآن ١/ ١٥٣.
(٥) المصدر نفسه ١/ ١٥٥.
(٦) التدبر في القرآن ١/ ٢١٥-٢١٦ والنور المبين في قصص الانبياء والمرسلين : نعمة الله الجزائري / ٤٢٠، دار الفقيه ط١، ٢-٢٠٠٢م.

السلام) فقال : السلام عليك يا ابراهيم ورحمة الله وبركاته الك حاجة ؟ فقال: أما إليك فلا ،فلما طرحوه ( في النار) ودعا الله فقال : ياالله ياواحد ياالحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ، فحسرت النار عنه، وانه لمحتبي ومعه جبريل وهما يتحدثان في رضوة خضراء)[١].

وهكذا تنبه المفسر – رحمه الله– لهذا الاسلوب القرآني الراقي المتمثل بالقصة والتي تتميز بالعبرة والعظة والتي تدل على اعجاز القرآن الكريم باخباره عن احداث عفى عليه الزمان، فاستفاد المفسر منها في تفسيره للايا ت الكريمة وذلك لأنها تجذب القارئ وتبسط امامه المعنى مع عمق ونوع في المعرفة وكذلك في تنمية الوعي الاخلاقي فهو لم يكتفِ بقصص الانبياء بل استعان بالوقائع التاريخية في سبيل الوصول الى هدفه وهو الاعتبار والتدبر وربط الآيات القرآنية بالواقع الحي.

**الخاتمة**

في ختام هذا البحث الموجز عن تفسير السيد محمد رضا الشيرازي (١٤٣٩هـ – ٢٠٠٨م) التدبر في القرآن نستخلص اهم النقاط الواردة عن المسائل العقائدية في تفسيره وهي كالأتي :

- إهتم بالمسائل العقائدية الثلاث المتفق عليها بين المذاهب وهي التوحيد والنبوة والمعاد.
- عند تفسيره للآيات يوافيها حقها من البحث والاستقصاء جامعا للقرائن الدالة على المعنى من خلال إحضارة لعدد من الآيات التي تشكل بمجموعها دليلاً قاطعا على المعنى المراد.
- رده على الفرق الإسلامية من خلال جمع اقوالهم ومحاججتهم بها وبيان الإشكال الذي وقعوا فيه.
- رد على اليهود والنصارى كاشفاً الانحراف والاباطيل التي اتسمت بها حياتهم الفكرية واصفا إياهم بالضلال.
- اعتمد في طريقته على اسلوب الإستفهام وإثارة الأسئلة قُبيل البدء بالتفسير ومن ثم يجيب عن هذه الأسئلة موظفا جميع أدواته الفلسفية واللغوية والاحكام الفقهية والعلوم في مصلحة تفسيره.

ومسك الحديث عن السيد محمد رضا الشيرازي هو الدعاء له بالرحمة والغفران لما اثرى به المكتبة الاسلامية من مؤلفات في التفسير والعقائد والفقه والمحاضرات الفكرية والاخلاقية ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**المصادر**


١- **القرآن الكريم .**

٢- ازمة الخلافة والإمامة وأثارها المعاصرة / عرض ودراسة د. أسعد وحيد قاسم / ص٢٧٧/ مركز الغدير للدراسات الإسلامية – بيروت – لبنان .

٣- أصول الدين الإسلامي : د. رشدي محمد عليان و د. قحطان عبد الرحمن الدوري /٦٦ / وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – جامعة بغداد – كلية العلوم السياسية – مطبعة دار الحكمة –ط٤– بغداد –١٤١١هـ /١٩٩٠م.

٤- الأم / الإمام ابي عبد الله بن إدريس الشافعي ( ١٥٠هـ – ٢٠٤ هـ ) مع مختصر المزني / ١– ١٢٩/ ط٢ / دار الفكر – بيروت –لبنان /١٤٠٣ هـ –١٩٨٣ م .

٥- أوائل المقالات / الشيخ المفيد (٣٣٦ هـ – ٤١٣هـ)/٤٠/ دار المفيد للطباعة والنشر / ط٢ / بيروت – لبنان ١٤١٤هـ . ١٩٩٣ م.

٦- بحار الأنوارالجامعة لدرر اخبار الأئمة الاطهار / العلامة محمد باقر المجلسي (١٠٣٧هـ – ١١١١هـ ) مؤسسة الوفاء – ط٢ وطبعة دار احياء التراث العربي / ط٣ – بيروت – لبنان ١٩٨٣م.

٧- بداية المجتهد ونهاية المقتصد / محمد بن احمد بن محمد بن رشد الشهير بالحفيد / الباب الأول ( المسألة الرابعة ) – دار المعرفة /ط٦ بيروت – لبنان / ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م.


---

([١]) التدبر في القرآن ١/ ٢٢٢ وبحار الأنوار : المجلسي ١٢/ ٢٤،

٨- التدبر في القرآن / السيد محمد رضا الشيرازي /ط١ /دار العلوم –بيروت – لبنان ١٤٢٩هـ –٢٠٠٨ م .
٩- الجامع الصحيح / الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري/ ج٨ / ١٥٦- ١٥٧ – دار الفكر – بيروت .
١٠- الجامع الصحيح /سنن الترمذي ابي عيسى محمد بن سورة الترمذي / ج٤/ ٤٢ /تحقيق وتصحيح عبد الرحمن محمد بن عثمان – ط٢ –دار الفكر – بيروت – لبنان- ١٩٨٣م .
١١-زيارة القبور والإستنجاد بالمقبور / احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني /٢٤ ط١- الناشر الإدارة العامة للطبع والترجمة – الرياض – ١٤١٠هـ.
١٢-سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار/ المحدث الشيخ عباس القمي (١٢٩٤هـ – ١٣٥٩هـ) تحقيق مجمع البحوث الاسلامية نشر مؤسسة الطبع والنشر الاستانة الرضوية المقدسة /ط١- ١٤١٦هـ.
١٣-سنن أبي داوود /سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) /٤١٨/٢ -١٤٩ تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام – دار الفكر بيروت – لبنان.
١٤- شرح العقيدة الأصفهانية / أبو العباس احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٦٦١-٧٢٨هـ) ١/ تحقيق ابراهيم سعيداي / نشر مكتبة الرشد /ط١ الرياض – ١٤١٥هـ.
١٥- شرح نهج البلاغة / شرح ابن ابي الحديد / تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم / دار احياء الكتب العربية / ط١ ١٩٥٩م.
١٦-الصحاح – تاج اللغة وصحاح العربية / تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري ١٢٣٨/٣/ تحقيق احمد عبد الغفور عطار – ط٤ – دار العلم بيروت – لبنان ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
١٧-عقائد الإمامية / محمد رضا المظفر /٤٠/ تحقيق وتعليق محمد جواد الطريحي / مركز الابحاث العقائدية.
١٨-عقائد الأمامية الاثني عشرية / ابراهيم الموسوي الزنجاني /مؤسسة الاعلمي /ط٢ –بيروت – لبنان- ١٣٩٣هـ –١٩٧٣م.
١٩-العهد الجديد / الإنجيل كما رواه متي / الإصحاح (١) / (١- ١٧).
٢٠- العهد القديم / سفر التكوين / الاصحاح الحادي عشر (١ -١٠)الاصحاح الثاني عشر (١-٤).
٢١-فتح الباري شرح صحيح البخاري / الحافظ شهاب الدين بن حجر العسقلاني /١١/ دار المعرفة /ط٢- بيروت – لبنان .
٢٢-قصص وخواطر / عبد العظيم المهتدي البحراني /ط٥/ مطبعة امير- قم – ايران – ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
٢٣-قطف الثمر في عقيدة اهل الاثر / محمد صديق حسن خان القنوجي / تحقيق د. عاصم عبدالله القريوتي – دار النشر شركة الشرق الاوسط للطباعة / الاردن/ ط١- ١٤٠٤هـ.
٢٤-كشف الشبهات / محمد بن عبد الوهاب /ط١ / نشر وزارة الشؤون الاسلامية والدعوة والارشاد – المملكة العربية السعودية – ١٤١٨هـ.
٢٥-كنز العمال في سنن الاقوال والافعال / علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي / مؤسسة الرسالة / بيروت – لبنان / تحقيق وتصحيح الشيخ بكري حياتي وصفعة السقا- ١٤٠٩هـ.
٢٦-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ) دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٢٧-مذهب الإسلاميين / عبد الرحمن البدوي / دار العلم للملايين /ط٣ – بيروت – ١٩٨٣م.
٢٨-المسائل المنتخبة / صادق الحسيني الشيرازي /٧-٣١ / دار العلقمي للطباعة والنشر /ط ٣١/ كربلاء – العراق / ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م.
٢٩- مسائل من الفقه المقارن / د. هاشم جميل عبدالله / جامعة بغداد / كلية الشريعة /ط١ – ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
٣٠-مسند ابو يعلي / الامام الحافظ ابو يعلي الموصلي /ط٢ دار الثقافة العربية – دمشق – ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
٣١-المعجم الكبير / الحافظ ابي القاسم سليمان احمد الطبراني /٢/ ١٢٨- ١٢٩/ ط٢ تحقيق احمد عبد المجيد السفلي – سرسنك – دهوك ١٩٨٣م.
٣٢-منتخب ميزان الحكمة / محمد الريشهري / تلخيص حميد الحسيني / مكتبة العروة الوثقى – بيروت – لبنان- ١٤٢١هـ.
٣٣-الموطأ / الإمام مالك /١/٨٤-٨٦/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي /دار إحياء التراث العربي / بيروت – لبنان /١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.
٣٤-النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين/ نعمة الله الجزائري /٤٢٠ – دار الفقه / ط١ – ٢٠٠٢م.